بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دار الزمان دورته .. وأعاد التاريخ نفسه .

بالأمس البعيد سقطت دولتا الفُرس والروم مضرجتين فى ظلمهما وانحلالهما ، وسقط الأكاسرة والقياصرة غارقين فى جبروتهم وطغيانهم . وبزغ نور الإسلام لينقذ البَشرية من غيِّها وضلالها ، وليُخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق بإذن الله العلى القدير .

وبالأمس القريب سقطت الشيوعية بمنهجها السياسى والاقتصادى مضرجة فى زيفها تحت أقدام الحقيقة ، وتعرّت الرأسمالية فكشفت عن إفلاس رهيب فى القيم والأخلاقيات .

وفى اختبار الزمن وضح - لكل ذى لب - أن المناهج البشرية لا تصلح لقيادة ركب الحضارة ، وأن منهج الله هو الأصلح والأسمى .. فبدت إرهاصات العصر الإسلامى تفرض نفسها ، وأصبح على المسلمين أن يعيدوا تقديم الرسالة السامية ليصلح بها آخر هذه الأمة كما صلح بها أولها .. ولينقذوا العالم من مهاوى الحروب و الدمار الذى يعم الشرق والغرب ، ويقتل الحرث والنسل .

لكن - الظاهرة الغريبة - أن المسلمين برغم يقينهم أن المدّ الإسلامى قادم - بمشيئة الله - لا محالة انقسحوا على أنفسهم .

- البعض تملكتهم غيبوبة الدنيا فسلّموا لها زمامهم واستسلموا .

- والبعض أدركوا خطيئة البُعد عن منهج اللّه ، فانطلقوا يزرفون الدموع حسرة على التفريط فى جنب اللّه ، فإذا جفت الدموع وضعوا الخد على اليد انتظاراً لما يأتى به اللّه .

- والبعض راحوا يرفعون شعارات برّاقة ، ويستعجلون الدخول إلى العصر الإسلامى دون زاد أو تقوى .

وهؤلاء ، وهؤلاء ، وهؤلاء .. سوف يجرفهم التيار ليجدوا أنفسهم فى عصر لا دور لهم فيه إلا مَن هدى اللّه .

والعالَم اليوم ينظر إلينا بعين الترقب ، ولا ينتظر منا أنصاف الحلول ، إما أن تقدم له المنهج المتكامل فى كافة جوانب الحياة ، وإما أن يرتد على عقبيه ليقع فى براثن الزيف والتضليل .. ورغم أن الإدارة هى أهم علوم العصر ، فإننى أقول - وبغير حذر - أن هناك قصوراً من المفكرين المسلمين فى ارتياد هذا الجانب الحيوى رغم الكنوز الهائلة التى حواها القرآن وأحاطت بها السُنَّة ، وتجلت فى التطبيقات العملية لدولة الإسلامية .. ومن واقع هذا الإدراك حاولت ارتياد هذا المجال من خلال كتاب نشر تحت عنوان « نحو منهج إسلامى فى الفكر الإدارى » قدّمت فيه ملامح المنهج الإسلامى فى مجالات الفكر الإدارى مقارنة بمناهج الفكر الإدارى ونماذج الإدارة فى المجتمعات الغربية .

ولقد تبينت خلال بحثى لإعداد هذا الكتاب كمّاً هائلاً من القيَم والمبادىء والمُثُل الأخلاقية تجعل فى الإمكان وضع نظرية إسلامية فى الفكر الإدارى يمكن أن نطلق عليها نظرية « الإدارة بالقيم » .

وفرضت هذه النظرية نفسها على تفكيرى رَدْحاً من الزمن حتى يَسَّر اللّه ظهورها فى هذا الكتاب تحت عنوان « القيم الإسلامية والفكر الإدارى » والذى تبلور منهجه فى بابين :

الباب الأول : تعرض للقيم كمفاهيم عامة ، وللقيم الإسلامية فى مجالات الحياة المختلفة : الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ونماذج التطبيق التى

تجلّت فيها روعة هذه القيم والتى كان لها دورها المؤثر فى الانتصارات والفتوحات الإسلامية .

أما الباب الثانى : فقد اقتصر على تقديم ملامح نظرية الإدارة بالقيم فى بعض العمليات الإدارية التى تمثل أساس النظام إلادارى :

* تحديد أهداف التنظيمات .
* وضع قواعد التنظيم الإدارى .
* إصدار الاوامر .
* اتخاذ القرارات .
* تقرير الأجور و الحوافز والجزاءات .

ولا أدّعى أننى وَفيّتُ هذه النظرية حقها ، فهذا أكبر من إمكانيات فرد أو جهد أيام .. ولكننى قدّمت ملامح هذه النظرية فى مجالات عديدة من مجالات الفكر الإدارى يحتاج كل مجال منها إلى بحث خاص لتتضح معالمه على الوجه الأكمل .. ومن هذا المنطلق فإننى أعد الآن لبحث خاص حول التخطيط للهجرة النبوية بين المبادىء العلمية والإلهامات الربانية ، إيماناً منى بأن القيم والمبادىء التى حوتها أحداث الهجرة النبوية جديرة بأن تُفرَد لها الأبحاث فى مجالات التخطيط ، والتنظيم الإدارى ، والتنسيق ، والتنفيذ ..... إلخ .

وأنا أستصرخ كل القوى الإسلامية أن تتوقف عن الصراعات حول عليّ ومعاوية . وحول الحجاب والنقاب ، وحول الصلاة على الرسول بعد الأذان وهل هى سُنّة أم بدعة ؟ وحول ختام الصلاة ، لتنطلق فى مجالات الفكر الإسلامى المختلفة ، وتنهل منها ، وتقدمها للعالم مجلوّة ونضرة ، وخالصة من الشوائب التى علقت بها على امتداد التاريخ الإسلامى .. حتى يرى العالم الصورة الحقيقية ، وتنجلى عن عينيه الغشاوة التى فرضها أعداء الإسلام .. والتى

صوّرت للناس هذا الدين وكأنه دين البداوة والعنف والإرهاب ، لقد عشتُ مع هذا الكتاب بين قيم عظيمة وانتصارات رائعة هزّت مشاعرى هزاً .

وبين مشاعر الانبهار والمتعة والدهشة والحزن والأمل عشت سطور هذا الكتاب .. وقفت مبهوراً أمام قيم عظيمة انطلقت من القرآن .. وتبلورت من خلال السُنّة ، وأنارت صفحات التاريخ الإسلامى وتلقفها رجال عظماء عايشوها ، وجسّدوها على أرض الواقع ، وصنعوا بها حضارة سادت العالم شرقه وغربه .

واستمتعت مع أبى بكر الصدِّيق ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز وهم يُقدِّمون نماذج عملية لمؤسسات ونظم إدارية تضارع أرقى ما وصل إليه الفكر الحديث .. وزادت متعتى وأنا أرى الرايات العربية والإسلامية ترتفع خفّاقة فوق ربوع آسيا وإفريقيا وأوربا قائمة على أعمدة من القيم النبيلة والمبادىء الفاضلة .

ومع الانبهار والمتعة جاءت الدهشة .. كيف تكون لدينا مثل هذه الثروة الضخمة من القيم والمبادىء الإسلامية التى يمكن أن تجعلنا نعيش المجتمع الفاضل ثم نتركها لنجرى وراء نظريات غربية وشرقية هى كالرقع لا تتواءم مع الثوب الإسلامى ، وكالأعضاء الغريبة التى يرفضها القلب المسلم ؟

إن الشريعةِ الإسلامية لا ترفض العلم ، ولا ترفض الرقى ، ولا ترفض التحضر . ولكنها تأخذ بيد مَن يريد نحو كل ذلك .. كما أنها تكرم الإنسان وترفض التفرقة بين الأجناس والألوان .. فلِمَ الخوف ؟؟

ثم جاء الشعور بالحزن على حضارة ملأت الأرض عدلاً وصدقاً وإنسانية ، وقد تحوّلت إلى أطلال نبكيها بالكلمات ، وهذا على النفس الإنسانية شاق وعسير .

وأخيراً .. جاء الأمل محملاً بأريج الدعوات المستنيرة للعودة إلى الطريق

المستقيم .. ومنطلقاً مع الإرهاصات التى أطلّت برأسها على الوجود تنبىء أننا فى طريق العودة إلى قيمنا ، وإلى أصالتنا ، وإلى حضارتنا ، وإلى الإسلام .

بين هذا السيل من المشاعر عشت ، قرأت ، وكتبت ، وبحثت وسألت ، وخرجت بهذا الكتاب الذى أود أن يضىء ولو شمعة على طريق الأمل القادم .. فإن أك قد وفقت فللّه الحمد والمنّة ، وإن تكن الأخرى فعذرى أننى حاولت فى حدود ما أملك من طاقة وجهد أملاً فى أن أنبه الأذهان إلى الكنوز الدفينة فى هذا المجال الخصب - لعل غيرى - من المخلصين يلج الباب بإمكانات أكبر ، وزاد أكثر ، وفكر أعمق .

وتبقى - كلمة شكر - لكل مَن ساهم بجهد فى مراحل إعداد هذا الكتاب ، وأخص بالشكر المفكر المسلم الأستاذ « صلاح عزام » الذى أثرت مناقشاتى معه مادة هذا الكتاب .. ورادها ثراء بنشر بعضها على صفحات « الملحق الدينى الأسبوعى » لجريدة المساء مما فتح المجال لحوار حولها - مع قرّاء كرام - أسهم فى ترشيد المنهج ، وتعميق المضمون

دعاء من الأعماق أن يجعل اللّه هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يهدينا جميعاً إلى سبيل الرشاد ، وهو على كل شىء قدير .

أحمد عبد العظيم

* * *

obeikandl.com